زمنية جيرار جنيت
في النقد العربي الحديث

أ. منصوري مصطفى[1]

لا شك أن السرديات الحديثة بوصفها إجراء نقديا تقارب النصوص مهما تباينت أشكالها، حديثة العهد في النقد العربي.فهي لا تتعدى ثمانينيات القرن الماضي، على الرغم من أن استحضار المنجز النقدي الغربي يؤرخ له بمنتصف القرن العشرين. وقد دشن تلك البدايات "طه حسين" و"محمد مندور"، ومن سار على دربهما كل حسب تخصصه وطبيعة اشتغالاته.

إذا كان النقد العربي الحديث قد تردد في قراءة المتن الشعري العربي بمستويات غربية، مكتفيا بما يحمله الموروث النقدي، فإنه لم يجد مع السرديات بدا من الإذعان والاستسلام للمعطى الغربي.فتراثه لا يمنحه أدوات مقاربة الأشكال السردية، إذ هي مغيبة أمام سلطان الشعر. وذلك أمر طبيعي فالسرديات ذاتها لم يتم الاهتمام بإنجازاتها، إلا بعد أن لمع نجم الشكلانيين الروس، حين قدموا إجراءات جديدة لمقاربة الأشكال السردية بعيدا عن الإيديولوجيا والخارج، بكل ما يمثله من معطيات اجتماعية وتاريخية ونفسية والتي كثيرا ما أعاقت النقد وحدت من انطلاقه نحو استكشاف مكنونات النص الأدبي، والوقوف على سر تفرده.

أفلح " فلاديمير بروب" بكثير من الاقتدار في اقتراح أنموذج تحليلي للخرافة الروسية، وفق منظور لا براعمي المتغير بل الثابت. فخلص إلى نتيجة سيكون لها حظ توجيه درس النقد في العصر الحديث وبخاصة الشق السردي منه.وكان استنتاجه محددا في اعتبار الخرافة على تعددها خرافة واحدة؛ انبثقت عنها باقي الخرافات.مما شجع النقاد على استكشاف مواطن بحث جديدة في خرافة، كانت إلى وقت قريب مرتبطة بالعامة.ولم يكتف بالخرافة فقد تعدوها إلى الأشكال الشعبية بعد أن صار ممكنا استنطاق المغيب بنية وتقنيا.

إذا كان النقد الغربي قد اطلع على هذا المنجز الجديد من خلال ترجماته العديدة" الإنجليزية، الفرنسية، الإيطالية، البولونية...".و الذي يؤرخ له بعهد بعيد عن زمن ظهوره.- فالفرنسية مثلا لم تطلع عليه، إلا في منتصف الستينيات- فإن ذلك لم يجعله سائرا في فلكه لا يخرج عنه.بل إنه كان دائم السعي لتجاوز ميكانيكيته وصرامة إجراءاته التي لا تراعي البعد الاجتماعي فيه، وذلك باقتراح طرق أخرى تعيده إلى منبعه، وتوثق علاقته مع منتجيه، من خلال طروحات "بريمون، بارث، تودوروف، غريماس..."

لم تعرف العربية منجزات السرديات على نطاق واسع إلا في سنة 1986 مع ترجمة "إبراهيم الخطيب" لمورفولوجية الخرافة"، وهو تاريخ يكاد يشكل البداية الفعلية للاهتمام بالسرديات في النقد العربي.

---

[1] – أستاذ مساعد مكلف بالدروس – قسم اللغة العربية و آدابها – كلية الآداب و العلوم الإنسانية – جامعة سيدي بلعباس – الجزائر.

كان المغرب العربي سباقا – على غير العادة- إلى استثمار منجزات السرديات إما من خلال حركة الترجمة التي تناولت أعلامها، وإما باستحضار مفاهيمها النظرية وممارساتها التطبيقية.ثم التقى المشرق بخطوات المغرب فصارت السرديات أداة لقراءات مختلفة تباينت طرق تعاملها ومستوى اشتغالها.

يندرج تعامل العربي مع السرديات ضمن مستويين اثنين يطابقان في الأصل طبيعة تعامل العربي مع النقد الوافد. فقد أبان في بداية عهده بالسرديات انبهارا لا حد له، حيث سارع إلى ترديد مفاهيمه دون ضبط لإجراءاته أو معرفة بأبعاده وأسيقته، الأمر الذي جعل الكتابات الأولى الجارية وفقه بعيدة كثير من الغموض والضبابية الناتجة عن عدم القدرة على فصل الإجراء عن مرجعيته الأولى، أو لعدم استيعابه أصلا. أما المرحلة الثانية فتمت من خلال وضع المنجز السردي موضع السؤال، وذلك بمحاولة اختلاق أسيقة مناسبة، كأن تكون تأصيلا من التراث القديم لسلا تصبح تلك الإجراءات الوافدة دخيلة على المعطى الثقافي العربي، ومسايرة لخصوصية الأشكال السردية العربية

ثم يشد العرب في بداية عهدهم بالسرديات في ربطها بالمأثور الحكائي الشعبي، ولعل ذلك راجع في بعض أسبابه للأصول الأولى للسرديات، حين جعلها "بروب" أداة لمقاربة الخرافة.غير أن الاهتمام المستمر بهذا الحقل المعرفي الجديد أحال النقاد إلى إمكانية مقاربة الأشكال السردية الأخرى التي لا تدخل دائرة الأدب الشعبي بالضرورة.

كان لتباين الاتجاهات السردية الناتجة عن تباين التصور الذي يوجه كل باحث في طرق استكشاف المعنى، وسبل التعامل معه دور في بروز نوعين من المشتغلين بالسرد عند العرب، تبعا للاتجاه الذي ارتضاه كل طرف. فاتجه بعضهم للاشتغال على السرد من جهة تشكلات المعنى في الحكاية/ القصة، مسايرا منجزات " بروب" معادلة مع "كلود بريمون، غريماس.." وينتقدم هؤلاء" سعيد يقطين، ناصر العجيمي، رشيد بن مالك، سعيد بوطاجين..وغيرهم." واتجه البعض الآخر إلى الخطاب يستنطقه ويتتبع تمفصلاته مستأنسا بتنظيرات البنيوية الشعرية كما قدمها " باختين، تودوروف، جيرار جنيت.." ويمثل هذه الطبقة " سعيد يقطين، عبد الله إبراهيم، محمد نجيب العمامي..." وقد سبقتهم جماعة أخرى إلى توطيد أركان السرديات" محمد برادة، البيوري.."والتعريف بفاعلية أدواتها.

تلقي جيرار جنيت في النقد العربي الحديث:

تأخر استثمار مشروع " جيرار جنيت" في النقد العربي الحديث، على الرغم من فاعلية تنظيراته وتبوعها منذ أواخر الستينيات.وقد يعود ذلك إلى حالة الانبهار التي استقبل بها مشروع "غريماس " واقتصار الترجمات على ما سار في دائرتها. ولم يكن ممكنا استحضار " جنيت إلا في ثمانينيات القرن الماضي. ويمكن وفق ذلك تتبع المراحل الزمنية لتلقي "جنيت " في النقد العربي الحديث من خلال رصد مسارين لها:

1- الترجمة:

يمكن حصر الترجمات المختلفة لأعمال " جيرار جنيت" في:

- مدخل لجامع النص"مؤلف" introduction a l'architexte ترجمة عبد الرحمان أيوب 1985.
- المنظورات السردية " مقال " من كتابه figures3 نشر ضمن " نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير" ترجمة مصطفى التلجي- مجلة آفاق 1989.
- البنيوية والنقد الأدبي "مقال" ترجمة محمد لقاح ضمن مؤلف جماعي.1991

- حدود السرد "مقال" من كتابه المشهور figures2 نشر ضمن طرائق تحليل السرد الأدبي- منشورات اتحاد كتاب المغرب- العدد 8-9 ترجمة بن عيسى بوحمالة.1992

- خطاب الحكايةfigures3 discours du récit ترجمة: محمد معتصم/ عمر حلي / عبد الجليل الأزدي 1996.

أطراس: "مقال" من كتاب palimpsestes ترجمة: المختار الحسباني مجلة فكر ونقد 1999

- عودة إلى خطاب الحكاية nouveau discours du récitترجمة: محمد معتصم 2000.

تلك هي أهم الترجمات التي خصت أعمال " جيرار جنيت " وهي كما هو ظاهر اختص بها بالمغاربة دون غيرهم في حدود علمنا، وتلك إشارة أخرى إلى إسهامات المغرب في النقد الحديث، وفي ميدان الترجمة على وجه الخصوص.

2-الاستثمار النقدي:

يمكن اعتبار أواخر التسعينيات البداية الفعلية لاستثمار نظريات " جيرار جنيت " في النقد العربي، من خلال استحضار حشد من المفاهيم والآليات التي أضحت غالبة على معظم من اختار قراءة الخطاب السردي. وقد يفسر ذلك ببداية التأسيس لمشروع ترجمة أعمال "جنيت" بعد أن صار علما بامتياز. ولكن ذلك الاستثمار لم يكن يسير في مستوى واحد.فهو يتأرجح بين التطبيق الآلي والانبهار الذي لا بدل بالضرورة عن وعي بطبيعته، ولا عن دراية بأسسه المرجعية التي تتلقى بإنجازات الشعرية البنيوية، مع مد جسور وثيقة مع البلاغة وطروحات "أرسطو". وقد مثل هذا المستوى ب: "بناء الرواية" "سيزا قاسم " و"آمنة يوسف" في" تقنيات السرد" وكذا " السيد إبراهيم" في بعض فصول كتابه" في نظرية الرواية"... ومستوى ثان يستثمر أطره بالتعديل والإغناء، مراعاة لخصوصية الأشكال السردية العربية، فالتطبيق الحرفي لمنهج نقدي ما، مهما كانت طبيعته وفاعليته لا يمكن أن يكون صالحا لكافة النصوص، وبخاصة إذا لم تكن من المناخ الثقافي نفسه الذي انبثق منه المنهج. ويمثل المستوى الثاني بكثير من "الآثار " سعيد يقطين" في كتبه المختلفة" تحليل الخطاب الروائي، انفتاح النص الروائي، الرواية والتراث السردي، الكلام والخبر، قال الراوي..." فهو وإن كان يسير وفق المنهج الذي رسمه "جيرار جنيت" ومدرسته، إلا أنه كان يقظا في التعامل معه، فهو يطور ويعدل ويستحضر آراء أخرى، قد تتناقض أحيانا مع ما اقترحه" جنيت"، وبشيء من التركيب يضطلع بمفهومه الخاص، فلا يبقى أسير ما اقترحته سردية "جنيت". كان ذلك دينه في "انفتاح النص الروائي" و"الرواية والتراث السردي"، حين استحضر ما سماه " بالسوسيوثقافية" والتي رآها أصلح للمعطى الثقافي العربي ولخصوصية نصوصه السردية، على الرغم من ارتكازه على المنجز السردي الغربي والفرنسي على وجه التحديد.

لا يبتعد " محمد نجيب الحمامي" في "الراوي في السرد العربي" عن هذا التصور، فهو ينتقي ويعدل ما أمكنه ليجعل طرحه يؤسس لرؤية نقدية جديدة، تضطلع بمهمة استكشاف موقع الراوي ووظيفته في الرواية التونسية المعاصرة.

لا يستبعد أن يكون لدقة طرح " جيرار جنيت" وكثافته وكذا لاصطحاب مفاهيمه لنصوص سردية متنوعة المصادر والمشارب سببا في تباين توظيف آلياته، في النقد العربي الحديث. إذ تتفاوت درجات امتلاكها من تطبيق قبع عقيم، إلى آخر ثري عميق.بل إن ترجمة أعماله يعتريها كثير من اللبس والضبابية.إذ تتطلب معرفة واسعة بالتراث الغربي قديمه وحديثه. وقد شعر مترجم خطاب الحكاية " محمد معتصم" وزميلاه بكثير من المشقة

الناتجة عن((كثرة الإحالات إلى الأعمال الأدبية الغربية، من ملاحم وأقاصيص، والتلميحات إلى شخصياتها فضلا عن وفرة المصطلحات التي تحتها" جيرار جنيت" أو اشتقها بنفسه))1 وتلك سمة تكاد تكون الطابع العام لمؤلفاته.

مصطلحات " جنيت" الزمنية " في النقد العربي:

لم تستثن مصطلحات "جنيت" الزمنية عن الظاهرة العامة التي تشوب المصطلحات النقدية العربية الوافدة.فهي متباينة ومتناقضة أحيانا، يكاد كل باحث ينفرد بمصطلحات خاصة به، يرتضيها تبعا لمصدر مفاهيمه وطرق تعاملها معها، وكذا لطبيعة الترجمة إلى يحيل عليها.كما أنه عائد في بعض وجوهه إلى خلو ساحة المشتغلين بالنقد من ((الإنصات إلى أعمال الآخر، وإلى الحوار العلمي الصريح والواضح.(...) في وضعنا الثقافي العربي، لا يمكن أن يؤدي نهائيا إلى إنتاج معرفة علمية أو إلى تطوير معرفتنا بالسرد العربي القديم أو الحديث))2

يقود تباين المصطلح إلى تباين المفهوم بالضرورة.فهما لاينفصلان، وعدم الاكتراث بخطورة هذا الوضع قود لا محالة إلى كثير من الالتباس، ويؤدي إلى غلق منافذ النصوص، فتترك لاغلاقيتها، مما يقود في الأخير إلى اضطراب يشوش على الفكر صفاءه ويحن من حيث لا يدري عدم جدواه.

يلحظ القارئ للمتون النقدية العربية المهتمة بالزمن السردي، تنوعا كبيرا في التعامل مع المصطلح، يصل أحيانا حد التناقض بين ما كان يصبو إليه مبتكره والمفاهيم المستعارة التي أعطيت له، بعد انتقاله إلى الحقل الجديد.

كان "جيرار جنيت" يسعى من خلال الإكثار من المصطلحات والجنوح بها نحو الدقة والعلمية، إلى تجاوز المصطلح النقدي الشائع في الدراسات السابقة عليه، والتي رأها غير قادرة على إضفاء الطابع العلمي الصارم الذي كان حريصا على وسم مشروعه به.ومن ثم قلل عملية لاستحضار مصطلحاته ومفاهيمه لا تراعي هذا الجانب مأنها الإخفاق، مقارنة بالمحضن الثقافي الذي أنتجه على الأقل.

لا تظهر الدراسات العربية في كثير من وجوهها التزما بالمعايير التي كان ينشدها "جنيت".إذ غلب على معظمها طابع الترجمة المستعجلة التي لا تتحرى أحيانا الدلالة الكامنة في المعاجم. بل إن بعضها كثيرا ما مزج بين مصطلحات من حقول مختلفة. وذاك أمر أخطر من سابقه، إذ يحيل العملية النقدية على ضرب من الفوضى الفكرية والنقدية والتي تقود إلى استسهال النقد نفسه، وجعل أمره متيسرا.فلا ضابط يشده ولا قوانين تحكمه.

تنطلق "آمنة يوسف" في كتابها " تقنيات السرد النظرية والتطبيق" من منصور بسيط، يقرن التنظير بالتطبيق، على الرغم من عدم تحديدها للمتن السردي الذي تشتغل عليه.وتوظف لذلك مصطلحات لا يعرف على أية مرجعية تستند. ولا يخرج القارئ من حيرته إلا عندما تحيل على "جنيت " بالاستناد على مرجع عربي استحضره. وإذا كان أمر عرض قراءتها مؤجل إلى مقام آخر، فإننا سنكتفي هنا"باستعراض طبيعة توظيفها لمصطلحات قراءتها، لمقارنتها بالمصطلح نفسه عند نقاد آخرين اغترفوا من المعين ذاته.

تطلق آمنة يوسف علىordre نظاما " النظام" وهي ترجمة حرفية لا تراعي المفهوم الحاملة له.إذ هو تحديد لطبيعة العلاقات ضمن الترتيب الزمني بين تعاقب الأحداث في الحكي وترتيب زمنها في الوضع السردي، لا يقوم النظام على الإحالة عليه.إذ عادة ما يأتي مقارنا للفوضى. وتلك دلالة تنأى عما كان "جنيت" يرمي إليه.

كما تسمي analepses ارتدادا، وهو مصطلح صاحب روايات تيار الوعي مترجما عن flash-back الإنجليزية والذي بقي من خلال منطلقاته رهين المعطى النفسي أكثر من كونه تقانية زمنية محددة للخطاب بعيدا عن الحمولة النفسية.

يستفرد "سمير المرزوقي" وزميله في "نظرية الرواية بمصطلحات خاصة -كعادة التونسيين- في مجال التعامل مع المصطلح النقدي الغربي.ف anachronie temporelle مستحضرة عندهما بمصطلح "المتنافرات الزمنية". وهي غير المفارقات الزمنية التي تهتم بترتيب الأحداث في الخطاب السردي، وفي الوقت نفسه تحديد تعاقب الأحداث ذاتها في القصة، كما تظهر في السرد ذاته.إذ الترتيب الزمني يخضع لخروقات كثيرة، من مثل استباق الأحداث أو استرجاعها.فيما تعني المتنافرات عدم وجود علاقة أصلا.

تستخدم analepses مصطلح للاحقة وprolepses مصطلح السابقة، وبإمكان المرء أن يتساءل وفق هذا التصور من جدوى "جنيت" الإتيان بمثل هذه المصطلحات الغريبة، ولغته الفرنسية تمنح له من الألفاظ ما يغنيه عن مشقة البحث عن مصطلحات تبدو نشازا في لغته المعاصرة. وحري بنا أن نتأمل غايات "جنيت" ولا نبقى حبيسي الدلالة المعجمية التي لا تتطلب معرفة سابقة بمرجعية المصطلح، ولا بأهدافه الكبرى.مع ضرورة الاعتراف على الرغم من كل ذلك بمجهودات المترجمين والنقاد على حد سواء، فلا ينكرها إلا جاحد.

لا يبتعد الناقد الجزائري "عبد الحميد بورايو "في "منطق السرد" عن الشكل نفسه، إذ يطلق على ordre الانتظام التي لا تختلف عن "النظام" الشائعة إلا في صيغة الفعل المشتق منه. ويكتفي ضمنه بتحديد prolepses ويسميها "الزمن الماضي ويجعلanalepses "زمنا مضارعا" دون أن يصرح بالتسميتين، بيد أن مصطلح "الانتظام" كما سماه يتضمنهما.ويعود ليصدر مصطلحا آخر علىanalepses ب"المستقبل المتوقع"، وإذا استثنينا ما هو غيبي فكل مستقبل هو متوقع بداهة.

يربط"عبد الرحمان مبروك" في قراءته" بناء الزمن في الرواية المعاصرة" جميع مصطلحاته التي ارتضاها بالتعوت، وهي ظاهرة يكاد ينفرد بها وحده. ولعل هذا الأسلوب في بناء المصطلح يمكن أن يفسر بالعجز عن لحت أو اشتقاق مصطلح مفرد يفي بمصطلحات "جنيت".

يخصص الباحث مصطلح la durée بـ" التتابع الزمني"، بعد أن سمى ordre ب"الترتيب الزمني". ولا شك أن مجرد قرن التتابع بالترتيب يحيل على ترادف الكلمتين، لا يقوى القارئ أن يعقد فرقا بينهما، بعد أن صار راسخا في ذهنه التمازهما لحقل لغوي واحد.مع العلم أن المصطلحين عند "جنيت" لا يلتقيان إلا في دلالتهما على الزمن، ثم ينفصلان ليدل كل واحد منهما على مفهوم خاص.

أما مترجمو "خطاب الحكاية" " discours du 'récit " ضمن"figures3 " (محمد معتصم-عمر حلي-عبد الجليل الأزدي) فاقترحوا مصطلحات خاصة، تبعا للسياق الذي كان يؤسس له "جنيت". وقد اعترفوا في أكثر من موضع بصعوبة ترجمة أعماله كما مر بنا في مقام سابق. ونكتفي هنا بإيراد ثلاث مصطلحات هي أساس طرح "جنيت"، لتتيح إمكانية مقارنتها بما قدمه بعض المشتغلين على الخطاب السردي وفق رؤيته، قبل ترجمة عمله الرائدdiscours du récit .

1- ordre: الترتيب

2- durée: المدة

3-fréquence: التواتر.

أعاب الناقد المغربي "محمد سويرتي" في كتابه" النقد البنيوي والنص الروائي" المصطلحات المستحضرة من تصور "جنيت"، ورأى أنها لا تراعي خصوصية كتاب " خطاب الحكاية" الذي استلهم مصطلحاته من البلاغة لإبعادها عن الطابع النفسي.وبذلك راح يدعو إلى ضرورة البحث عن مصطلحات من البلاغة العربية، لتناسب

الأهداف الكبرى لطروحات "جنيت"، وقام باقتراح مصطلحين ربطهما بالعرف النحوي والبلاغي العربيين، فسمى: prolepses السبعدية، و analepses القبلية وعلى ذلك أصبحت لديه مصطلحات: البعديات الداخلية والبعديات الخارجية ثم البعديات التركيبية3. غير أنه اكتفى بمصطلحين، وكأن الخلاف محصور فيهما فقط، أو أنه كان ينظر من النقاد المهتمين السير وفق ما رسم. على الرغم من التحفظ الذي يمكن أن يواجهه مقترحه، إذ كيف يمكن الاطمئنان لقابلية البلاغة العربية للحقل المعرفي الجديد الذي سنقحم فيه، وهل الدرس البلاغي العربي مطابق لنظيره الغربي ؟ أم أن الاعتساف سيتيح إمكانية فعل ذلك ؟ وذاك خلاف آخر، يضاف إلى مجمل الخلافات النقدية العربية الحديثة التي لا تستقر على حال. وسيبين الجدول التالي بعض ذلك الخلاف في آلية الزمن والتي كان مصدرها واحد.

مصطلحات جنيت	محمد معتصم/عمر حلي/الأزدي4	سعيد يقطين 5	عمرو عيلان6	آمنة يوسف 7	مراد عبد الرحمان8	عبد الوهاب الراقيق9
Ordre	الترتيب	الترتيب	النظام	النظام	الترتيب الزمني	//
Anachronie temporelle	المفارقات الزمنية	المفارقات الزمنية	//	المفارقات السردية	//	التفارق الزمني
analepses	الاسترجاعات	الإرجاع	سوابق؟	الارتداد	السوابق الزمنية	الرجع
Prolepses	الاستباقات	الاستباق	//	الاستباق	اللواحق الزمنية	السبق
Durée	المدة	المدة	المدة	المدة	التتابع الزمني	//
sommaire	المجمل	التلخيص	//	التلخيص	//	الإجمال
Pause	الوقفة	الوقف	//	الوقف	التوقف الزمني	الوقفة
ellipses	الحذف	الحذف	الحذف	الحذف	الخلز الزمني	الحذف
Fréquences	التواتر	التواتر	//	التواتر	التواتر الزمني	//

زمنية جيرار جنيت وتطبيقاته في النقد العربي الحديث:

لم يمنع تباين المصطلح "الجيناتي" عند العرب من استلهام مفاهيمه الزمنية، بل إن مقاربة الأشكال السردية العربية لا تقام إلا باستحضار التقنيات التي عرضها في خطاب الحكاية. والحقيقة أن بعض تلك الدراسات قد أظهرت قدرة فائقة في حسن توظيف المصطلح، و وعيا تاما بطبيعته وأبعاده. ظهر ذلك جليا في كتابات "سعيد يقطين" كما سبق الذكر. فيما ركنت دراسات أخرى إلى ترديد مقولات " جنيت" دون تمحيص ولا تدقيق ودون الأخذ

بالتحديات التي عرضها النقاد نفسه في nouveau discours du récit " عودة إلى خطاب الحكاية" كما وسمه مترجمه" محمد معتصم".10 فصار استلهام تلك المفاهيم وفق هذا التصور ميكانيكيا، لا يغوص في مكامن الأشياء، ولا يبحث عن الدلالات المفترضة فيه.

لا يمكن رصد طبيعة استثمار تنظيرات " جيرار جنيت" في مقام مثل هذا، فمجالاته كثيرة وطرقه متعددة. ولذلك سنكتفي بعرض ثلاثة نماذج نجسد إلى حد بعيد التعامل الذي أحدثه النقد العربي الحديث مع المنجز الغربي ممثلا بسردية "جنيت".

تميز "آمنة يوسف" في كتابها" تقنيات السرد النظرية والتطبيق" في تحديدها للزمن الروائي من خلال: ملامسته بأقسام الزمن السردي، وتجعله على ثلاثة أنواع[تاريخي، اجتماعي، زمن نفسي، زمن تاريخي. وتمثل لكل نوع بنموذج من الروايات موضوع الدراسة.

أما استحضارها لتنظيرات " جنيت" فيأتي عندها تحت تسمية مستويات الزمن السردي. وواضح أن الإجراء ينطوي على التباس. إذ ما الذي يمنع من تسمية الزمن التاريخي والنفسي بمصطلح مستويات أيضا. ثم تعلن بعد ذلك اهتمامها بالنظام والمدة، ولا تلتفت إلى التواتر فهو عندها ((قضية أسلوبية تدخل في مجال التقييم الفني للعمل الأدبي جيده ورديئه(..) وما على ذلك مما ليس في منهج البنيوي الشكلاني))11.

لا شك أن حكمها بهذا الشكل ينطوي على سوء تقدير لطبيعة تشكل الزمن في الخطاب الروائي. فليس الزمن في الخطاب نجل بصيغة زمنية معينة بالضرورة.إذ يكفي أن يكون التواتر لحكاية واحدة، مرة واحدة، أو عدة مرات، للدلالة على طبيعة تعامل الروائي مع الزمن. يتضاف إلى ذلك أن القضية في زمن الخطاب ليست مقتصرة على الزمن ذاته وإنما في طبيعة تعامل الروائي معه. ولعل ذلك ما دفع " جنيت" إلى اعتباره قضية "يقصد التواتر" لم تنل اهتمام الباحثين، على الرغم من أنها تشكل إحدى الأشكال الزمنية السردية. وهي التي تعرف عند النحويين ب" الجهة" aspect. فالحدث ليس قادرا على أن ينتج، وإنما أيضا على إعادة إنتاج وأن يتكرر أكثر من مرة 12. ومن ثم فأي مسوغ يمنح لناقدة حق إقصاء " التواتر" من دائرة اهتمامات البنيوية الشكلانية كما سمتها.

أما إذا انتقلنا مع الباحثة إلى التقنيات المتضمنة تحت ما سمته المستويات، فإنها تسمي شقي المفارقات السردية بالارتداد والاستباق، وهما مصطلحان سبقت الإشارة إلى ارتباطهما بالمعطى النفسي. وفي سياق عرضها للمفاهيم وتقديم النماذج المجسدة لها، تلحظ "آمنة يوسف" ارتباط الاستباق برصفه تقنية زمنية ببنية((الرواية التقليدية على وجه الخصوص، فيقل عنصر التشويق والمفاجأة القائمة لدى القارئ، حين يعلن الراوي التقليدي عن الأحداث اللاحقة قبل وقوعها.))13. ولاريب أن هذا الطرح لا يراعي خصوصية هذه التقنية، ولا يتطابق مع ما ربطه به " جيرار جنيت"، فهو على خلاف ما زعمت نادر الوجود في الرواية التقليدية والواقعية، إذ لا ينسجم مع متصوراتها، وعادة ما يرد في السيرة الذاتية ((بسبب طابعها الاستعادي المصرح به بالذات والذي يرخص للسارد في تلميحات بي المستقبل، ولاسيما إلى وضعه الراهن، لأن هذه التلميحات تشكل جزءا من دوره نوعا ما))14. ولعل ما ذكرته الباحثة يعزز ما يلاحظه القارئ لكتابها، فهي تخص "جنيت" بالاسم دون أن تحيل على كتاب واحد له، سواء أكان بلغته أم مترجما عنها. فهي تحيل على مقالات ودراسات عربية اتخذت الزمن موضوعا واستحضرت مفاهيم "جنيت".

ومهما يكن من أمر، فدراسة "آمنة يوسف" تفتقر إلى كثير من العمق والاستفاضة في الطرح، مع عدم القدرة على استثمار المنجز النقدي الذي تقترحه "جنيت". ومادام بحثها يعلن صراحة قيامه على عقد صلات مع

النقد الغربي، تعريفا واستثمارا فإنه ولج -بوعي أو بدونه- إلى دائرة ترديد ما قدمته بعض الدراسات العربية المستلهمة للنقد الجديد، دون مراعاة مرجعيات أصحابه ولا الغايات الكبرى التي كانوا يستشرفون.

ينطلق الناقد "عمرو عيلان" في:"الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة" في مقاربته للزمن من خلال رصد مجموعة كبيرة من المفاهيم، بدأها كعادة المقاربين للزمن باعترافات "أوغسطين" ثم عرج على طروحات الشكلانيين الروس، وما أفرزه تفريقهم بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، حيث أصبح ممكنا الحديث عن زمن القصة وزمن الخطاب. وقد اعترف الناقد بفضلهم في((بداية الاهتمام بعنصر الزمن في الرواية ومنطلقا في مكوناته وخصائصه بهدف صياغة منهجية واصفة لتحديده))15. ولم يغفل الباحث الإشارة إلى الطرح السائي وبخاصة ما قدمه "بنفنيست"، ثم ينتقل إلى الأشكال الثلاثة التي حددها "تودوروف" " التسلسل، التضمين، التناوب". وينهي عرضه لمفاهيم الزمن في النقد الحديث بتصور "جنيت" وبخاصة في "خطاب الحكاية"، والذي عرضه باسم ينفرد به وحده حيث أطلق عليه "خطاب القصة16"، ولا شك أن المصطلحين مختلفان في السرديات الحديثة وجمعهما ينطوي على خلفية مصطلحاتية خاصة لم يظهرها الباحث.

قرن طرح "جنيت" في "الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي" بطرح "تودوروف" دون تحديد لسر ذلك القران، ولا التوشيح التي تجمع الباحثين، وبذلك ت قراءته تفتقر للمسوغ المنهجي الذي يفترض أن يكون جليا في بحث أكاديمي.

يعترف "عمرو عيلان"بدقة مصطلحات "جنيت" وعلميتها، على الرغم من أنه اعترض على آليتها، على اعتبار أن صاحبها تغاضى عن زمن القراءة الذي رآه مهما، فيما أن "خطاب الحكاية" قد أقر بوجوده وكشف أهميته غير أنه اعترف باستحالة ضبط . فزمن القراءة مرتبط بطاقات الفرد التي تختلف بحسب القدرات "والأمزجة".

كانت قراءة "عمرو عيلان" موجهة بالأساس إلى القبض على البعد الاجتماعي والايديولوجي في روايات "عبد الحميد بن هدوقة". فكان تبعا لذلك ينتقي من الآثر " ما يتوافق مع هذا الغرض، وما هو قادر على استكشاف مكامنها، متتبعا أحداثا بعينها اعتبرها مؤشرات زمنية "الميثاق الوطني" "التطوّع الطلابي". واقتضى ا. ـ . مى المفارقات الزمنية استثمار آليات "جنيت" معتلة في "التقدم" "المدة" مع إغفال " التواتر" الذي تغاضى البحث عن استحضاره"اعتقادا بعدم جدواه أو بانتمائه لحقل نقدي آخر كما أشارت "آمنة يوسف".

مكن المشهد بوصفه تقنية من تقنيات "المدة"ordre، في بان الصبح (بن هدوقة)- وفق رؤية الباحث من رصد جملة ((من القضايا الأساسية التي تتيح للقارئ الإطلاع بصورة مباشرة على الشخصيات وأفكارها وقناعتها وحياتها اليومية))17. وهو ربط لا يرا ي خصوصية هذه التقنية". إ ، لا ا بط بالقارئ أصلا وإنما في استكشاف كيفية اشتغال الخطاب، وتكون تبعا لك موجهة إلى معاينة الخطاب في سيرورته وطبيعة النسق الزمني الذي يمتلكه. لإحداث" غارقة مع زمن القصة.

إن "آليات "جنيت" في "الايديولوجيا والخطاب" مستثمرة من أجل البوح النفسي للشخصيات وتجلية الدلالات الاجتماعية، وذلك هدف لم يرم إليه مبتكره بل إنه كان يسعى إ جعلها متنائية عنه. فالبعد نفسي وبقية الأبعاد الخارجة على النص، أحالت -في الحقيقة- الدراسات النقدية عد تبايز ميولاتها وإيد تها إلى نوع من التوثيق والرصد والانغلاق بكثير من الاغتراف والتقدير وفي عنق النص

نخلـص في الأخير إلى مقاربة ثالثة لصاحبها " عبد الوهاب الرقيق" الموسومة ب" دراسات تطبيقية في المـسرد". يستعرض في بدايتها مجموعة كبيرة من مفاهيم الزمن مع اعترافه بأنه((سيلان لا نهائي هارب. يستحيل القـبض عليـه أو تمـثله تمثلا محسوسا))18، وذلك ما يفسر وقوع المحلل في معضلات لم يستطيعوا تجاوزها، وبخاصـة عـند بحثهم عن((وجوه التناسب بين مدى القص الزمني (الدبـ ـمة الحكائية من جهة، وفي متناول العمل الأدبـي الكلي بالاستناد إلى نتائج ذلك التناسب مكن جهة أخرى.) 19، وقد تفطن "جنيت" إلى هذا الأمر حين اعتقد أن لا شيء كان يمنعه لو أخذت " المدة " تسمية " السرعة".

رجح" عبد الوهاب الرقيق قراءة "جنيت" لتكون أداته للقبض على زمنية روايات "الطاهر وطار". فهي عنده كفـيلة بإفشـاء بعض مكتوم النص، والتعرف على بعض ملامح إنشائيته. وقد يكون هذا الإقرار مهما للباحث، إذ يعلـن عـن مرجعيته صراحة، فيصبح أمر تتبعه هينا. غير أن كثرة استحضار " عبد الوهاب الرقيق" لتلك التقنيات يجعـل تتبعه أمرا عسيرا لطول ما عرض. ولعل ذلك ما دفعنا إلى الاقتصار على زاوية واحدة، في انتظار أن يأتي دور الأخرى.

يحـاول " عـبد الوهـاب" تأصـيل مفهوم "الثغرة"- الحذف- باصطلاحه- ellipse، فيعتبره عربيا في الـبلاغة العربية،إذ هو إحدى وسائل تكثيف الخطاب. وإذا كان "الحذف" في النحو والبلاغة ((إلغاء لكلمة بضرورية لتحقيق الفهم الكامل ولكن معناه يبقى مقدرا))20، فإنه في النقد الروائي ((نسخ جزء من القصة يشير القارئ إلى سـقوطه أو ينبه إلى إقصائه دون تدخل الراوي))21. ولعل قراءة "جنيت" لا تبتعد عن هذا المفهوم حين جعله على ثلاثـة أشـكال:أ- الحـذف التفسيري /الصريح: ويكون لتغطية خلل سردي ولحمل مضمون حكائي من مثل: وانت أعوام السعادة، أو تراجع زمن الشقاء..

ب- الحـذف الضـمني: ولا يصرح به النص، وإنما يستخلصه المسرود له من خلال الوقوف على صيغة الانتقال من حدث لآخر أو من حالة لأخرى.

ج- الحـذف الافتراضـي: ويكون حين يصعب تحديد مجاله لعدم ارتباطه بزمن(السفر إلى الخارج، مرحلة التعليم الجامعي...)22.

يتتـبع " عـبد الوهاب الرقيق" مواطن الحذف في روايات" الطاهر وطار" محددا الصيغ التي أعلن بها (نصف قرن في ستة عشر صفحة)، (مرت سنوات سريعة)، (صبرت العام الاول)... وحصر وظيفتها في اعتبارها وسـيلة لاخـتزال ماضـي الشخصيات في متتاليات قصصية، ذات مفاصل معلومة وأخرى موصوفة. وتلك وظيفة تقليـدية دأبت عليها روايات الواقعية الكلاسيكية، تتجاوزها الوظيفة الجديدة التي مدارها أن ما يفقده النص مساحة يعوضه كثافة و وقعا.

علـى الـرغم من أن الناقد أتى أكثر من مرة على ماسماه الوظيفة الجديدة للحذف، إلا أنه ربطه بالقارئ الـذي ينـتظر مـن المـسارد الأخذ بيده فيهديه بواسطة إشارات مختلفة إلى منطلق حركة البطل ومنتهاه، فيصير الحـذف وفق هذا التصور لعبة يلجأ إليها السارد متى شاء، ليبقى القارئ تحت سلطته ورهن إشارته، يشفق عليه بإحالـة حسـب هـواه ويمـنعها عنه متى خلا له.فيما أن "الحذف" في منظور "جنيت" تقانية تسهم في تغطية خلل مـسردي، أو أنه مكثف بحمل مضمون حكائي، لارتباطه بنظام الخطاب وبطبيعة التناسب الذي يحدث مع القصة. ثم أن رهان "الشعـرية" التي تبناها "عبد الوهاب الرقيق" متوقفة إلى حد بعيد في قدرتها على استكشاف القوانين العامة

المستحكمة في الخطاب والطرق التي يعتمدها في تجلية بنيته، «اليه_ "نص ولا القارئ بطرف في هذه المعادلة بصورة مباشرة.

تلك بعض مفاهيم الزمن في الكتابات النقدية الع ر.، وطرق ممارستها لنصور "جيرار جنيت". تتعثر أحيانا وتخسيب في أخرى. وذلك أمر طبيعي. فالأشياء لا تولد ناضجة كاملة ولابُد أن النقد العربي الحديث لازال يلتمس طريقه لإعفاء الفكر النقدي الذي لا يستجيب النظرة الأحادية، إذ كلما تنوعت مقاربات أفكار قابلية النفوذ إلى النص واستكشاف طبيعة اشتغاله.أما "جيرار جنيت" فسيبقى رائدا أساسيا لمن يروم امتلاك آليات قراءة النصوص السردية على اختلاف أشكالها.

الإحالات:

* في مقال سابق وفي المجلة نفسها العدد الثاني تم التطرق إلى زمن الحكي وزمن الخطاب عند جيرار جنيت، يستحسن الاطلاع عليه لمعرفة تطبيقاته في النقد العربي الحديث.

1 - جيرار جنيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج-ترجمة: محمد معتصم، عمر حلي،عبد الجليل الأزدي، بإشراف مقدمة الترجمة) مطبعة النجاح الجديدة المغر ، - ص:19

2 - سعيد يقطين: نظريات السرد وموضوعها- بحث في المصطلح- علامات- العدد:6- مكناس ب 1996-ص: 47.

3- ينظر: محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي- إفريقيا الشرق- المغرب 1991-ص:53 وما بعدها.

4- ينظر: جيرار جنيت: خطاب الحكاية – تر: محمد معتصم 1996

5- ينظر: عمرو عيلان الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي-منشورات جامعة منتوري قسنطينة- الجزائر 2001

6-ينظر: أمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق- دار الحوار -سوريا-1997

7- ينظر: مراد عبد الرحمان: بناء الزمن في الرواية المعاصرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر-1995.

8- ينظر: عبد الوهاب الرقيق: دراسات تطبيقية في السرد-دار محمد الحامي-تونس-1997.

9- ينظر: جيرار جنيت: عودة إلى خطاب الحكاية- ترجمة: معمد معتصم- المركز الثقافي العربي-المغرب2000.

11- أمنة يوسف: تقنيات السرد- ص: 70

-12 voir : Gérard Genette : figures3-ed :seuil-Paris-1972. -12

13- أمنة يوسف: تقنيات السرد-ص: 81.

14- جيرار جنيت: خطاب الحكاية-ص:76.

15- عمرو عيلان: الأيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي-ص:272.

16- المرجع نفسه-ص:133.

17- المرجع السابق-ص:305.

18- عبد الوهاب الرقيق: دراسات تطبيقية في السرد-ص: 28.

19-المرجع نفسه- ص: 3.

ابق-ص:50.

21- المرجع نفسه-ص: 50.

22- ينظر: جيرار جنيت: خطاب الحكاية- ص: 117-118-119.

23- عبد الوهاب الرقيق: دراسات تطبيقية في السرد-ص:54

24- المرجع نفسه- ص:53.